

## الواجبات المنزلية : لماذا ؟

محمد حازي

أستاذ متقاعد، قسم الرياضيات، المدرسة العليا للأساتذة

القبة القديمة، الجزائر

### 1. مدخل

لا يخفى عن أحد أن النجاح في المسار الدراسي يمثل الهاجس الأكبر لدى المتعلمين تلاميذ وطلبة وأسرهم، بل هو محلّ اهتمام المجتمع بكافة مكوناته الإدارية والتربوية والمجتمعية من القاعدة إلى أعلى هرم الدولة. وبالطبع، يبقى انشغال العائلات في المقدمّة إذ لا توجد منها واحدة تغفل على مدار الأسبوع عن مساءلة أولادها عن نتائجهم الدراسية اليومية. تتجنّد العائلة لتمتين علاقاتها مع المدرسة لضمان أحسن محيط دراسي لأولادها وذلك بالاعون اليومي والاستراتيجيات التي ما فتئت تضعها لصناعة مناخ تعليمي مريح ومثمر. أنهيت منذ شهور مؤلفاً ضمّنته الفروض المنزلية التي اقترحتها الفريق المشرف على وحدة التحليل لطلبة السنة الأولى في المدرسة العليا للأساتذة بالقبة-الجزائر خلال عشرية التسعينيات. كتبت بإسهاب وقناعة بل وحماس في مقدّمته عن فوائد العمل المنزلي وانعكاساته الايجابية التعليمية والتكوينية على الطالب. قادتني رغبتني في حبك تقديم أغنى إلى توسيع النقصي حول واقع هذا الصنف من النشاط عمودياً من خلال الأطوار التعليمية الأربع وأفقياً من خلال بعض البلدان.

### 2. ما مدلول عبارة "واجبات منزلية"؟

أرى دفعا للإبهام وحذرا من اللبس التدقيق في المراد من وراء هذه العبارة خلال هذا النص. فقد شاعت بخصوص الشقّ الأول ألفاظ متعدّدة حسب المعلمين والمؤسّسات والمقاطع التربوية للدلالة على هذا الصنف من المهمّات والأعمال. لعلّ أكثرها شيوعاً الألفاظ الثلاثة: **واجبات - وظائف - فروض**. انتصرت شخصياً هنا للأولى لتشبعي بمرادفها اللاتيني في تكويني الابتدائي وكذا لكونها تحمل لباً أخلاقياً يشدّ المتعلم. أمّا بشأن الثاني فوسّعناه ليشمل كلّ نشاط دراسي يقع خارج حصص الأقسام الاعتيادية، سواء أكان ذلك في المدرسة أم في المكتبة أم في المنزل. فالمعنى الضيق للفظ قد يعني من بين أطوار التعليم الأربعة الطور الأول بدرجة أكبر.

### 3. الواجبات المنزلية في الطور ما قبل الجامعي

إنّ أخشى ما يخشاه الثالث المكوّن من المعلم والمتعلم ووليّه في كلّ الأطوار التعليمية ألا يتمّ البرنامج السنوي المقرّر بالصورة التي تضمن إدراك الأهداف وقطف كلّ الثمار التكوينية المرجوة في نهاية السنة. فكلّ الخطط والتدابير والوسائل المادية والبشرية مجنّدة لهذه الغاية. فإن كان من المنتظر من المتعلمين أن يجتهدوا

ويستثمروا ساعات حضورهم في الأقسام فقد أضحى من المنتظر منهم أيضا لبلوغ هذه الغاية "المرعبة" اللجوء إلى تمديد اليوم الدراسي مساء في الدائرة العائليّة. إنّ على العمل أن يستمرّ بعد القسم على شكل دروس وواجبات. لهذه الأعمال وجهان أساسيان: الشفاهية من محفوظات ودروس والكتابتية من دروس وتمارين وتعبير ورسوم وخرائط ونحو ذلك. فإن كان الجميع لا يرى بأسا في استمرار ممارسة الوجه الأول فإنّ الوجه الكتابي للأعمال المنزليّة محلّ جدل وانتقاد بل ومنع في الابتدائي على وجه التحديد.

بخصوص الطور الثانوي، وعكس ما سبق، فإنّ النصوص الرسميّة تؤكّد مشروعية العمل البيداغوجي المنزليّ وضرورته وأهميته مع وضع قيود وقواعد بشأنه. كان على التلاميذ أن يقوموا في المؤسسات التعليميّة أو في المنزل بعدد من الفروض الإلجباريّة على أنّه ينبغي على العمل المطلوب أن يصطبغ بمرونة قدر المستطاع ومحدّدا ومشخصا بقدر كاف.

ومع هذا، فإنّ موضوع الواجبات المنزليّة يبدو من المواضيع التربويّة التي تثير بسرعة المناقشة. إنّه موضوع جدل دائم قلّما يدع الفاعلين المعنّيين بصفة مباشرة أو غير مباشرة بهذه المهمّة الدراسيّة غير مبالين. فهذه الأخيرة تتقاذفها الآراء المتعاكسة المتضادّة. فهي محبّذة ومرغوب فيها ومنبوذة ومعرض عنها، فعالة وغير ذات جدوى، مصدر طمأنينة وبؤرة ضغط، وهلمّ جرا... هكذا وكما هو الشأن في كلّ نقاش، فإنّ الأنصار المؤيدين والخصوم المعارضين يتجابهون حول مغزى وجدوى وخصوصيات العمل المنزليّ.

#### 4. الواجبات المنزليّة : الحجم الزمنيّ

تظهر دراسات عديدة ثقل الأيام الدراسيّة. أفرزت هذه الوضعيّة إزاء الواجبات اليوميّة لجوء التلاميذ إلى العمل أيضا خارج ساعات القسم. من الصعب معرفة الحجم الساعيّ المخصّص للواجبات وحدها بدقّة. فمعدل هذا الحجم اليوميّ والأسبوعيّ متقلّب. تقرّ نسبة معتبرة من الثانويّين بتخصيص بين ساعة وساعتين للعمل المنزليّ؛ وهناك نسبة أقلّ تخصّص أكثر من ساعتين يوميّا. تجدر الإشارة إلى أنّ هذا المعدل يتغيّر بين البنين والبنات. فالبنات يخصّصن الضعف للعمل المنزليّ. نشير هنا إلى أنّ لبعض الأساتذة تصوّرا خاطئا حول الوقت المنزليّ، إذ يقدّرونه أقلّ ممّا هو في الحقيقة : خريطة استغرق انجازها من قبل تلميذة أكثر من ساعة في حين كان يتصوّرها الأستاذ في أقلّ من نصف ساعة).

إنّ حصر وقت العمل بعد الدوام في الواجبات المنزليّة وحده ينجم عنه إهمال الوقت المقضي في أنشطة مجاورة مطوّرة بقوة في كوريا. فأنظمة المساعدة والمرافقة للدراسة مندمجة مع النظام التربويّ الكوريّ. فوقت العمل بعد القسم لا ينحصر في الواجبات المنزليّة المطلوبة من قبل الأساتذة. إنّه حال اليابان. ففيه قرابة 59 من المئة من التلاميذ يتابعون دروسا خصوصية استكمالا للدراسة الرسميّة. حسب تحقيق دوليّ ضمّ 18 دولة تبين أنّ كثيرين هم التلاميذ من 13 سنة يخصّصون على الأقلّ عشرين دقيقة يوميّا للواجبات غير أنّ في الولايات المتّحدة الوقت المقضي أقلّ. يرجع الباحثون الأمريكيّون ضعف نتائج تلاميذ بلدهم في الاختبارات الدوليّة مقارنة بالبلدان الأخرى إلى أنّ هؤلاء التلاميذ يقضون وقتا أقلّ في الدراسة. نشير في هذا الصدد إلى أنّ أحد أهداف

سياسة الرئيس بوش عام 1990 كان زيادة العمل في القسم والفروض المنزلية. لسان حاله يقول "لا يمكننا أن نشك في الوقت نفسه من رداءة نتائج التلاميذ عند كل مقارنة دولية من جهة ومن كثرة الفروض المنزلية للتلاميذ من جهة أخرى" !

إن في المجتمعات التي تتمّ النجاح المدرسيّ هي التي يكون فيها الأولياء والمعلّمون يعتبرون الواجبات المنزلية كأداة تعلّم ضرورية لنجاح التلاميذ. فعكس الصين أو اليابان فإنّ الولايات المتّحدة الأمريكية لا تعير اهتماما كبيرا للواجبات كمنهج للتعلّم. في هذا المضمار نجد تلاميذ السنة الأولى الصينيون يقومون بعشر مرّات كمية العمل المطلوبة في الولايات المتّحدة الأمريكية. يرى البعض أنّ التساؤل الحقيقي لا ينبغي أن يكون منصبا على المدّة الزمنية فحسب بل من الأساسيّ التفكير في مدلول وفحوى هذا الفعل الدراسيّ.

## 5. أصناف الواجبات

نذكر هذه الثلاث أساسا:

- الواجبات التطبيقية الهادفة إلى عضد وترسيخ المعارف؛
- الواجبات التحضيرية الهادفة إلى إعطاء التلاميذ معرفة متّصلة بالموضوع الذي سيتناول في القسم؛
- الواجبات المتابعيّة التي تهدف إلى الوقوف على مدى قدرة التلاميذ على توظيف المفاهيم في أطر ووضعيّات أخرى.

تراعى كلّ هذه الأنماط بداية البساطة والانتظام لجعل التلميذ يقوم بها بمفرده دون الاستعانة بعائلته طلبا لاستقلاليته. هي أساسا أنشطة الحفظ والتكرار التي لا تتطلّب من التلميذ تفكيرا ولا إعانة خارجية. يعيب البعض هنا على أنّ المعرفة كلّما كانت مفكّكة ومجزّأة كلّما كانت غير محرّكة ومحمّسة للتعلّم. غير أنّ هذا النوع من الواجبات لا يستغنى عنه للحصول على التعود الضروري والآلية لاكتساب المهارات. تجمع العديد من البحوث على أنّ للواجبات المنزلية تأثيرات على الحياة الدراسيّة والاجتماعيّة للتلميذ. هذا ملخصها:

### أ. الإيجابية

- ... الآثار الفوريّة: فهم أفضل، اكتساب ميكانيزمات، ذاكرة أقوى، ...
- ... الآثار بعيدة المدى: عادات وقواعد العمل أمتن، ...
- ... الآثار غير الأكاديميّة: تحمّل، انضباط، فضول، مسؤوليّة، ...

### ب. السلبية

- ... تشبّع، اكتضاض وسوء توزيع، ملل وتعب نفسيّ، ...
- ... انتفاء أهميّة الأنشطة الترفيهيّة،
- ... ضغط عائليّ، ...
- ... اتّساع الفروق بين الممتازين والأكثر ضعفا، ...

## 6. نظرة عابرة حول واقع الواجبات المنزلية في دول مختلفة

إنّ الشرح في الإجماع الحاصل حول نجاعة اللجوء إلى أعمال خارج المدرسة في الطور الابتدائي تحديداً ظهر هنا وهناك في العديد من الدول عبر العالم. هكذا، نجد بعض البلدان الأوروبية رفضاً للواجبات المنزلية. بلغت درجة هذا الرفض في البلدان الاسكندنافية حدّ الامتناع التام كما هو الشأن بـفنلندا. في الدانمارك وإيرلندا تعالج الواجبات في المدارس لتمكين التلاميذ من الاستفادة من الموارد البشرية واللوجيستية التي توفرها المؤسسة المدرسية. هذا خلاف ما نجده في بلجيكا إذ يقوم السواد الأعظم من التلميذ بواجباتهم في المنزل. وفي كندا وفي الكيبك تحديداً انقسمت المدارس بين لاغية لهذا الصنف من الأعمال ومنددة بهذا الإلغاء! في الولايات المتحدة الأمريكية أضحى النقاش حول وتيرة عمل الأطفال مركز الأحاديث والمناقشات. فالواجبات المنزلية من المواضيع التي يدور حولها الجدل وتنطلق حولها بسرعة التعاليق والأخذ والردّ. تظهر بعض الدراسات أنّ إيطاليا هي البلد الأوروبي الذي يخصّص فيه التلاميذ حجماً زمنياً أكبر لواجباتهم؛ غير أنّ هذا السلوك أعابه البعض مدّعياً أنّه يشكل عبئاً ثقيلًا على الأولياء إذ يحوّلهم إلى معلّمين مكرّرين لكن من دون كفاءات في معظم الحالات. في ألمانيا ينحصر العمل المنزليّ في الواجبات الرياضية على شكلها التمارينيّ.

وفي أوروبا الشماليّة التي يعرف تلاميذها نجاحاً أفضل قلّصت الواجبات وفضّل بدلها العمل القسيميّ. إذا احتكنا إلى التعريف القاضي بأنّ العمل المنزلي هو مهمات مطلوبة من التلاميذ من قبل معلّميهم تتجزأ خارج ساعات الدروس نجد الكوريين يخصصون وقتاً قليلاً لهذا الجانب. غير أنّ حصر وقت العمل بعد القسم في الواجبات المنزلية وحدها يعود إلى إهمال الوقت المقضي في أنشطة ملحقة مطوّرة كثيراً في كوريا واليابان. فأنظمة المساعدة والمراقبة للدراسة مندمجة في النظام التربوي الكوريّ ما يجعل وقت العمل بعد القسم لا ينحصر في الواجبات المنزلية المقترحة من قبل المعلّمين. في إسبانيا ينظر إلى الواجبات المنزلية على أنّها ليست إيجابية إلّا إذا شكّلت إجابة وحلاً فردياً لهذا الطفل أو ذاك. تصرّح الأطر القانونيّة على أنّ الواجبات ذات الطابع الميكانيكيّ والتكراريّ غير الفعّال ليست بذات جدوى.

وفي المملكة المتّحدة مالت الأمور إلى الامتناع عن الواجبات ما أراح التلاميذ والمعلّمين على حدّ سواء! في سويسرا لا وجود لواجبات منزليّة غير أنّ الأولياء يرون أنّ الغياب الكليّ أو الخفض الكبير للواجبات نجم عنه وُلد سلبيات جمة. إنّ حالة فرنسا مدهشة حقّاً. فقد أعلنت منع اللجوء إلى الواجبات المنزلية في الابتدائي مطلع القرن العشرين (1912). غير أنّ هذا المنع لم يكن يتبعه تطبيق في الواقع. فرغم تكرار وتعاقب صدور نصوص المنع القانونية (1956-1961-1971) وسريان مفعولها إلّا أنّها تجوّهلت وقوبلت باللامبالاة ولم يمنع هذا الإجراء من الديمومة والاستمرار، كأنّ اتفاقاً ضمناً وقع بين الفاعلين المهنيين لتجاوز القاعدة. فالمفتشون ينسون أو يتناسون بل يتحاشون أثناء تفتيشهم استفسار المعلّمين حول هذا النشاط. فحسب

هؤلاء لا يهتمّ المفتّشين أن يعلموا ولا يبحثون عن ذلك. فهم لا يتطرّقون للموضوع ولا يطرحون الأسئلة التي تستوجب من المعلّم البوح بممارسته الفروض المنزليّة.

يرى العديد من المهتمّين أنّ منع العمل خارج الأقسام غير واقعيّ، سيّما مع تزايد متطلّبات التكوين. إنّها في أضعف الأحوال تدريب يمكّن من تقوية قدرات التلميذ في القيام بالواجبات في ما يلحق من المراحل. يحضرنى في هذا المقام أنّه خلال مروري الخاطف بثانوية في فرساي عام 82-83 كأستاذ للرياضيات لم أتذكّر أنّ للهيئة المدرّسة علما بالنصوص التنظيميّة المتعاقبة المذكّرة لمنع العمل المنزليّ في الابتدائيّ. ليس لهذا من مدلول سوى أنّ القوانين المعنيّة قد قبرت وأنّ اقتناع الجميع بجدوى الواجبات المنزليّة بات حقيقة راسخة.

أمّا عندنا فلم يبلغ مسمعي أنّ رياح المنع قد هبّت بعد. في حدود علمي، النقاش حول الموضوع منعدم أو يكاد. فأمام الوظائف المنزليّة أيام هادئة لا تعكّرها أيّة شائبة. إنّ لها القسط الأكبر من اهتمام الفاعلين، تأخذ كلّ يوم حجما متزايدا إلى حدّ يخيّل إليك أنّ حصن التعليم بأبعاده الثلاثة، الابتدائي والمتوسّط والثانوي سيتنصّل من مهامه لحساب المنزل. كم سمع وتحملّ الأولياء من لوم وعتاب على "تقاعسهم" في متابعة ومراقبة أولادهم!!! وما زاد الطين بلّة والأولاد تشرذما هو استفحال اللجوء إلى الدروس الخصوصيّة، ما نجم عنه للولد بدل دار ديار !

## 7. ماذا عن الطور الجامعيّ؟

لا يتخيّل عاقل تعليما جامعيا مجردا من العمل المنزليّ. فهذه الحقبة هي حقبة العمل والتكوين الفرديّ الذاتيّ بامتياز. إنّها أبعد ما تكون عن لغط التجاذب والاختلاف الذي سقناه. فالإجماع سيّد الموقف ومنغرس في السلوك التعليميّ منذ الأزل ولعلّه باق إلى الأبد. لعلّ أكبر شاهد يذكّر الأستاذ والطالب معا بهذا النشاط وأهميته هو وجود المكتبات بصفاتها المتنوّعة، جامعية ووطنية وبلديّة. هل هناك غاية أخرى غير العمل الخارجيّ من أجلها شيّدت ؟ وبالطبع، فإنّ درجة ممارسة هذا النشاط ووتيرة تتابعه قد تختلف حسب كلّ أستاذ وكلّ مؤسّسة وكلّ منطقة وكلّ بلد. وقد يعرف إقبالا حماسياّ تارة وفتورا تارة أخرى، إلّا أنّه مثل غصن قسبيّ ينحني ولا ينكسر؛ تشتعل جذوته حدّ التوهّج في فترات وتخبو حدّ الانطفاء في فترات أخرى. يبدو لي، وأتمنّى أن أكون مخطئا، بأنّ الجامعة الجزائريّة أو على الأقلّ المدارس العليا للأساتذة التي أنا قريب منها، تعرف ركودا في جانب هذا النشاط. ولهذا الوضع دخل في هذا المنحى التنازليّ الذي عرفه المستوى التحصيليّ الطلابيّ في عمومهم. لا أعتقد أنّ تقادم عدد الطلبة وطغيانه هو السبب الأوحد في العزوف عن العمل الخارجيّ. نرى هنا أنّ تقييما جامعياّ شاملا مطلوب باستعجال لدى من يهتمهم الأمر لتدارك الأوضاع.

في الأخير، ومهما يكن من أمر، ورغم هذه السحابة التي أتمناها عابرة، لا يمكن تصوّر دراسات جامعية دونما عمل فرديّ خارج المدرّجات. يحضرنى في هذا المقام أنّي كثيرا ما داعبت طلبتي بتذكيرهم بأنّ حقّهم في غرفة جامعية يتطلّب منهم مراجعة ومتابعة يومية دقيقة لدروس النهار فحسا ومحصا وتكملة بل وإفاضة تسمح

لهم بإحاطة محكمة وهضم جيّد لما أخذ. وفي حال انتفى هذا العمل جاز للحيّ الجامعيّ استرجاع غرفه !  
أختم بالتذكير سردا غير مرتّب بفوائد العمل المنزليّ:

- إتقان الأدوات التعبيريّة (الكتابة، علامات الوقف، النحو الصرف، الإملاء، البلاغة، التقديم، ...)
- رفع مكتسب الثقة وشحذ الدافعيّة لدى الطالب؛
- زرع الفضول في الطالب وتأجيج جوعه التحصيليّ دفعا للقناعة ؛
- معالجة وتدقيق مسائل مفتوحة؛
- هضم المعارف وتملّكها؛
- تكملة وتوسيع حقل المعارف؛
- تشجيع الطالب على البحث على المعلومة بالاستعانة بمختلف القنوات والوسائل: مكتبة، أستاذ، زميل، شبكة الانترنت، ...
- حثّ الطالب على التعلّم الذاتيّ وجعله يتطور ويبدع وينحو نحو الاستقلالية والنظام
- تمكين الطالب من التحكم في تقنيات الإعلام الحديثة؛
- زرع روح التبادل والمنافسة بين الطلبة؛
- تمكين الطالب من حذق مختلف طرق العمل واستعمالها في محلّها؛
- .....

هذا غيظ من فيض وعنده أتوقّف!

**همسة لا بدّ منها:**

تقتضي الأمانة الإقرار بأنّ مضمون هذا المقال مستوحى من عمل شاركت به في ملتقى تربويّ نظّمته المدرسة العليا للأساتذة بسطيف-العلمة في أكتوبر 2019.

**مراجع**

- [1] Baerisway G : Les devoirs à domicile : Tomber le masque ; Educateur, n°7 ; 1990.
- [2] Barrère A : Les Forçats de l'école ; Spirale, Revue de recherche en éducation n°2 ; 1998.
- [3] Bedard Ho F : Les devoirs et les leçons sont-ils nécessaires ?; Revue du Ministère de l'éducation et de la direction de la recherche du Québec ; 1994.
- [4] Bobash M : Devoirs ou leçons : telle est la question ; le monde de l'éducation, n°218 ; 1994.
- [5] Cooper H : Homework for all in moderation ; Educational Leadership n° 58 (7); 2001.
- [6] Davailon A : Les collégiens en difficulté : Portraits de famille ; Education et formation, n°36 ; 1993.
- [7] Félix A : L'étude à la maison ; un système didactique auxiliaire, Revue des sciences de l'éducation n°38 (3); 2002.
- [8] Hazi M : Agrégat de préparations-maison : Offices des publications universitaires, à paraître.